7

الزراعة: هل سبق لك أن استثمرت فيها؟

ليست حبوب الصويا فقط لا تتمتع بالجاذب الجنسي. وليس زارعو الأرز واحة للأحلام. ولا تصنع فاكهة البساتين العناوين الكبيرة على الصفحات الأولى مثل الشباب الصينيين الذين يقودون سيارات الفيراري الرياضية أو المدن المزدهرة التي تنفرد برقصة العالم للهولاهوب.

لكن ماذا عن أنباء الصين التي لديها أدنى نسبة من الأراضي الصالحة للزراعة، وفي الوقت ذاته تصنف في المرتبة الأولى عالمياً في الإنتاج الزراعي؟ بالطبع، هناك الكثير من الإثارة عند الكشف عن كنه الإنتاجية لدى الكتلة البشرية الكبرى في العالم الفريدة ضمن علم الأجناس: قدرت الأرقام الرسمية عدد سكان المناطق الريفية في الصين بتسع مئة وأربعين مليون نسمة عام 2005.

لقد أحدثت مبادرات الحكومة، وعمليات الإنتاج الفاعلة، والارتفاع المدهش في الصادرات المتخصصة منعطفاً هائلاً في الريف الصيني. كان عام 2006 السنة اللافتة التي تحمل عنوان كل السنين: قفزة مقدارها 14.1 في المئة في إنتاج الصين الزراعي مصحوبة بزيادة 20 في المئة في

الأسعار. وبسبب ضغوط الأسواق العالمية وقواعد منظمة التجارة الدولية المناهضة لأساليب الحماية التي سآتي عليها لاحقاً، خفضت الدولة منذ أمد قريب الضرائب البائدة مع زيادة الحوافز والاستثمارات للمساعدة على إنعاش الإصلاحات التي طال انتظارها والمتعلقة بالزراعة التي تطال العمل الزراعي الحديث.

بينما تتضاعف الإستراتيجيات بسرعة كشَهَوَاتٍ، هناك سباق واعد من أجل تأسيس نماذج المملكة الوسطى لشركات مثل آرشر دانييلز ميدلاند Archer Daniels Midland، وجنرال ميلز General Mills، وكيلوغ Kellogg. ومن أصناف الغذاء إلى الأنبذة (الخمور) المعتقة يمتد مجال الصين فيما تستطيع أن توفره من كم هائل من احتمالات الاستثمار غير الملاحظة.

وكأي من الرحالة الآخرين الكثر، فوجئت عند سماعي تحية شائعة في الصين بين الناس وهي السؤال بكل أدب: «هل أتيح لك أن تتناول وجبة طعام؟» إن ما سيأتي ذكره لاحقا هو بعض الفرص المتاحة في الإجابات الجديدة المتداولة الآن في الصين عن هذا السؤال القديم. وكما أن القيادة الصينية حسمت أمرها وأخذت الزراعة على محمل الجد، فلعلك تقوم بالشيء ذاته أيضاً.

الآلام المتنامية

هناك سبب وجيه يدعو حكام الصين الحاليين للشعور بالقلق على الشريحة الكبيرة في مجتمعهم وهي المزارعون. فالقرون خلت

وانتفاضات الفلاحين كانت تساعد في التخلص حتى من أعتى الأباطرة. بالعودة إلى الوراء في ثمانينيات القرن العشرين مثّلت عملية الإصلاح في الصين قفزة نوعية لهذه الفئة من الناس. لقد اختار وينغ هيساو بينغ بحكمة الأرياف لتكون مسرحاً شاهداً على إصلاحات السوق عبر تحرير المزارعين من عبء الإنتاج لمصلحة فئات غير فاعلة وإزالة كيان ضوابط السيطرة على الأسعار. تحت ما كان يطلق عليه نظام مسؤولية أرباح البيوت، سمحت الحكومة المركزية لأُسر المزارعين كي يمارسوا العمل لمصلحتهم الخاصة، والحصول على عائدات إضافية، الأمر الذي كان محظوراً في الدولة الشيوعية. لقد عمل هذا النظام المؤسس على الحوافز على تحقيق رقم قياسي للمحاصيل في أعوام 1982 و1983 و1984 فيما يخص القمح والقطن، وغلالاً أخرى، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه بثّ الجرأة عند المزارعين لكي يصبحوا روّاداً في وجوه أخرى من حياتهم. انبثقت الأسواق الخاصة وباتت المدن الريفية مراكز للتجارة والمبادلات. في بواكير أعوام الإصلاحات، أضحت الأعمال المنتشرة في الريف القطاع الأسرع نمواً في اقتصاد الصين بنسبة راوحت ما بين 30-20 في المئة سنوياً.

وبحلول عام 1987، مثّلت الأنشطة غير الزراعية أكثر من نصف اقتصاد الأرياف. بدأ الرخاء يعم القرى. لقد استطعت أن أرى ذلك بأم عيني عندما جُلْتُ في أرجاء جنوب شرق الصين عام 1986. وعلى مدى النظر، زالت الأكواخ التي كان يسكن فيها المزارعون وحل محلها منازل حديثة مؤلفة من طابقين وزينت بعض مداخل البيوت بالتماثيل المنحوتة،

وانضم ارتفاع الدخل في المناطق الريفية إلى اللوازم الغذائية عالية الجودة، لكي يؤديا إلى إقناع قادة الصين لتحرير مناطق المدن في الصين من نيرها الشيوعي أيضاً، وساعدت الزيادة في عوائد الضرائب التي كان مصدرها القرى والمدن الصغيرة التي زخرت بالصناعات الصغيرة الجديدة على تمويل الارتقاء بالبنية التحتية في كل مكان.

ومنذ ذلك الحين، تبادلت الأرياف والمدن المواقع. فبمجرد انطلاق قطاعي الصناعة والخدمات، لم تستطع الزراعة الصينية التي اعتمدت على الآلات التي أصابها الاهتراء والمساحات المزروعة الصغيرة (الموزعة بحسب آخر تعداد على مئتي مليون أسرة) الصمود. فبعد أن كانت الزراعة تسهم في 50.2 من الناتج القومي الإجمالي عام 1952، هبطت النسبة إلى 15 في المئة عام 2005، لتوفر أقل من خمسة في المئة من واردات خزينة الدولة. لقد ازداد التفاوت في الدخل بين المدن والأرياف من 2.6 مقابل 1 لمصلحة المدن عام 1978 إلى 3.2 في المدن مقابل 1 في الريف عام 2006. وبالرغم من الموجة الريادية الهائلة التي اجتاحت الأمة بأسرها، بقي الريف الصيني ضعيف الإنتاجية نسبياً، إذا علمنا أن زراعة الهكتار الواحد يلزمها مزارع واحد (في حين أن عاملاً زراعياً بمفرده يستطيع العناية بمئة وأربعين هكتاراً من الأرض في الولايات المتحدة). وإذا أردنا الإيضاح أكثر، تقول الإحصاءات إن «القيمة المضافة» التي يحققها العامل الريفي في الصين لا تزال تقل مئتي مرة عن مكافئه الأمريكي. فلا غرابة أن يهجر الرجال الذين تراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والأربعين سنة الأرض الزراعية للعمل في المدن، مما أدى إلى قيام منشآت «مخيفة»

انتهى بها الأمر إلى استئجار الأراضي الشاسعة المهجورة وإدخال المَكْنَنَة الحديثة إليها.

ومع الاحتجاجات التي تقوم من حين لآخر اعتراضاً على مستويات المعيشة والفساد، بات الاضطراب الاجتماعي في الريف الصيني باعثاً متزايداً للقلق، وربما تحوَّلت القوةُ الشرائيةُ المتدنية لستين في المئة من إجمالي المستهلكين في البلاد إلى حالة مزعجة بدرجة أكبر للاقتصاد الصيني. ولهذا وضعت الحكومة الصينية في أحدث خطة خمسية ثقلها لردم الهوة بين المدينة والريف، لقد كان السياسيون الصينيون وعلى أرفع مستوى، كرئيس الوزراء الحالي وين جياباو Wen Jiabao على سبيل المثال، وما زالوا يخاطبون بحرارة وحماسة جماهير الناس المحتشدة في مناسبات الزواج في الريف، لكي يتحدثوا عن وعود الحكومة بتوفير مياه أنظف، وزيادة الكَهْرَبَة، وجيل جديد من بيوتات المدارس في الريف ينال قسطاً وافراً من دخول أجهزة الحاسوب إليه. لقد تم إنفاق 42 بليون دولار من الاستثمارات في البنية التحتية الزراعية إنفاذاً ووفاءً لهذه الوعود. تهدف الحكومة إلى مضاعفة الأموال المخصصة للبحث الزراعي، ولتأسيس أنظمة ريّ أكثر كفاءة، وأسواق لمبيعات التجزئة، والتجارة الإلكترونية. وإن دعماً بهذا القدر سيساعد من ثمَّ على خلق كمّ وافر من الفرص أمام المستثمرين من القطاع الخاص.

وبأخذ مخاوفهم على السواد الأعظم من التركيبة السكانية بالحسبان ربح المفاوضون الصينيون حول اتفاقية منظمة التجارة العالمية WTO المساومة على الاستمرار في توفير الدعم الحكومي، لتحسين أوضاع

المزارعين وتجهيزاتهم، ليصل إلى 8.5 في المئة من الناتج الزراعي. وأتى مع المساعدة الهادفة إلى تحديث التجهيزات الموجودة في حيازة المزارعين إجراءات تحويل المصارف المعاونة للمزارعين إلى قطاع خاص، مما أدى إلى مضاعفة القروض الممنوحة للمزارع ما بين عامي 2001 و2005. منذ دخولها حيز التطبيق الفعلي عام 2001، سمحت فقرات اتفاقية منظمة التجارة العالمية للحكومة الصينية: أن تستمر بدفع أثمان أعلى من الأسعار العالمية لبعض السلع الرئيسة، وهو مسلك اعتمد بعد ملاحظة الانكماش الذي حصل ما بين عامي 2001، 2004 في مساحة الأرض، التي تزرع فيها محاصيل الأرز، والقمح، والذرة.

لكن فقرات منظمة التجارة العالمية حصرت حق الصين في استيراد المنتجات دون اللجوء إلى مؤسسات التجارة العائدة للدولة أو الوسطاء. لقد ساعد ذلك على كبح سلطة التحكم بالتسعير وتحديد الكميات من قبل الاحتكارات، التي تتلقى تمويلها من الدولة في حقول مثل التبغ والقطن، بينما فسح المجال أمام المنشآت الأجنبية لتِلجَ أكثر من ذي قبل إلى قطاعات النقل والتوزيع. لقد تم خفض التعرفة الجمركية الصينية بمقدار النصف على وجه العموم على المستوردات من زيت الصويا والنبيذ والذرة من مستويات لا تطاق إلى أخرى معقولة. لقد أجبرت هذه المنافسة المزارع الصينية على أن تعمل بكفاءة إنتاجية أكثر وعلى وجه السرعة، مما صار يعني كسر نظام زراعة المساحات الصغيرة التقليدي، والذي أدى بالحكومة الصينية لتتخلى عن تأمين الولاء لها، مقابل سياسة مكلفة تحقق «اكتفاءً ذاتياً كاملاً»، وتوفر الغذاء للبلد كله.

وبالنتيجة، ارتفعت أثمان المستوردات الزراعية ما بين عامي 2002 و2004 مما يقرب من 10 بليون دولار أمريكي إلى 25 بليوناً. قد تبدو هذه المستوردات في بلد كالولايات المتحدة لديه محصول كبير من الذرة والقمح وزيت الصويا، كعلامة محتملة تدل على ضعف الصين، على أن تفضي هذه المستوردات إلى توفير مؤشرات على نهضة الصين الغذائية، وتمنح أساليب أكثر لدخول الحلبة، عند التطلع إلى المنشآت الأمريكية والأوربية التي تتمتع بأفضل المواقع ضمن مثيلاتها، لتكون مسؤولة عن توريد الغلال لمدة طويلة. وفي حقيقة الأمر، لا يبدو الاقتصاد الصيني وكأنه يقف في الجانب الخاسر، لكنه يحقق المكاسب من وراء السماح لمكانة السوق من أن تملي استخداماً أكثر ترشيداً لتربة الزراعة الثمينة. وإنه من العقلانية للصين أن تستمر في وضعها كمستورد للمحاصيل التي تتطلب استخداماً كثيفاً للأرض الزراعية كالقمح والقطن، الأمر الذي ليس بمقدورها أن تديره كما يجب، أو أن توفر له الإمكانات اللازمة، ومن الأفضل لها أن توجه المزارعين المحليين للتركيز على التصدير. وبحسب تقديرات المصرف الدولي، فإن اقتصاد الصين بالإجمال يستطيع الإفادة من خمسة بلايين دولار فيها لو استمر خفض زراعة الحبوب الأساسية حتى عام 2010.

وبالمثل تخلى رجال الضريبة في الصين تماماً عن النظرة التقليدية، التي مفادها: أنه يجب على أولئك الذين يعملون في الأرض أن يدعموا الرسميين، الذين يعملون خلف المكاتب. ومنذ عام 2004، علّقت عشرون مقاطعة في الصين مفعول جميع أنواع الضرائب، التي كانت مفروضة على عوائد زراعة

الحبوب. في عام 2006، اتخذت الحكومة المركزية خطوة غير مسبوقة بإزالة المكوس المفروضة على كل أسرة زراعية، وهي إتاوة كانت سارية المفعول منذ عام 1958 -وتعود جذور وجودها بنحو أو بآخر إلى 2.600 سنة! لقد كان هذا القرار ذا مغزى أكثر من كونه رمزياً، لكون الضريبة الفردية مثّلت في الماضي ثلاثة في المئة من إيرادات الحكومة على مستوى الأمة بأسرها، لقد أظهرت إحدى أحدث استطلاعات الرأي في الصين (وهي صناعة أخرى ناشئة) أن إزالة هذا العبء الضارب في القدم قد أدخل «السرور على 98 في المئة من المزارعين». إنني لأتعجب من هم الاثنان في المئة الآخرين*!

وتستطيع المنشآت الزراعية المتكونة حديثاً التي تسهم في جعل المأكولات صحية أكثر أن تستفيد من الإعفاء الضريبي أيضاً. فعلى سبيل المثال بمقدور بوديسن بيوتيك Bodisen Biotech التي سيرد ذكرها لاحقاً أن تطلب استثناءها من الضرائب الزراعية والضرائب على الدخل، لأنها تقوم بتصنيع أسمدة جديدة صديقة للبيئة.

لقد بدأ النشاط الزراعي العصري الذي يمارس في الدول النامية يضرب له جذوراً في الأرض، وباتت المعلومات المتعلقة بالعوائد والأسعار أكثر موثوقية، وهو أمر له مغزاه، ويعوّل عليه المستثمرون، الذين هم بحاجة بناء القرارات على معلومات دقيقة. أما في أثناء (القفزة الكبيرة للأمام Great Leap Forward)، وهي الحركة التي أثارها زعيم الصين ماوتسي تونغ، لبعث صدمة في الزراعة عن طريق تحويل الملكيات الزراعية الصغيرة

* أعتقد أنها هامش الخطأ الإحصائي، الذي يمكن أن يقع عند استطلاع الرأي (م).

إلى ملكيات جماعية، فقد كانت هذه المزارع الجماعية تبادر بسرعة وعن عمد بإرواء سنابل القمح القديمة، لتجعلها تتطاول إلى قياس مدهش من أجل نيل رضا الزعيم ماو عندما يمر قطاره عبر الحقول، وللحصول منه على مكسب ما. حتى وقت قريب، كان حكام المقاطعات يبالغون دوماً بكمية المحاصيل لكي يلمعوا صورتهم، وتكتمت المؤسسات الدولية التي تحتكر التجارة على أرقام احتياطات الغذاء كما تحجب بعض الأمم المعلومات عن مخزوناتها من قضبان وقود اليورانيوم. لكن منشآت الصين الزراعية الناشئة فهمت الرسالة التي مفادها: أن ثمن دخول نشاطها في السوق العالمي هو الإفصاح والرقابة المحاسبية والفحص والتدقيق وتسمية الأمور بمسمياتها. قد يكون هناك بعض المحاصيل الفاسدة وسمعة سيئة تطفو على السطح، وهو فأل سيئ للمستهلكين، بالرغم من أنه من حسن طالع المستثمرين، لكون المصاعب المؤقتة قد تفضي إلى فرص للاستثمار، لكن الصين ستتعلم كيف تنسجم وتبدأ بوضع ضوابط لصناعاتها الغذائية على وجه أكثر دقة، وأمانة، وعلى نحو بادٍ للعيان.

ومع الأرباح الجديدة المتحققة بالعملة المحلية، فإن الاستثمار في الزراعة الصينية ربما يكون أيضاً وسيلة أنيقة للدخول إلى الارتفاع الحتمي لعملة الصين رينمينبي Renminbi. يبقى فقط قيد مكبل واحد. فبسبب تأخر عملية الإصلاح، تبقى الزراعة أكثر تذبذباً، فهي معرضة للتحولات المفاجئة بسبب القحط أو الفيضانات أو أسعار السلع العالمية أو نزوات الاحتكارات التجارية الباقية. إن معضلات الجودة والأمان المتصلة ببعض الصادرات الغذائية الصينية، كما حدث في صيف عام 2007، لهي

أمثلة على ذلك. لكن يمكن أن يكون هناك جوائز ثمينة لتلك الشركات التي هي مؤهلة أكثر من غيرها للتخفيف من آلام الصين المتنامية.

ملفات جيم الصينية: وداعاً للمزارع الجماعية، مرحباً بالاتحادات

كوفكو إنترناشيونال ليمتد COFCO

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H؛ من فوق المنصة

HKG: 0506, H-shares {as Chaina Foods Ltd.}; OTC. CFITF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 257.9 في المئة، ارتفاع الإيرادات 54.9 في المئة

هل تتطلع إلى زيت الطهي، النبيذ، الشوكولا، الدقيق، طعام الحيوانات؟ إن كوفكو التي مركزها هونغ كونغ مهيأة، لكي تكون المورّد الأكثر قوة، وهي منشأة متعددة ومتنوعة الأعمال وبصماتها موجودة في أغلب صناعة الأغذية. إن النمو المذهل لهذه المنشأة المملوكة للدولة الذي بدأ عام 1952، أتاح لها تحوّلاً سلساً حين أصبحت عام 1999 شركة مسهمة وصار أداؤها صلباً متماسكاً. إنها أيضاً واحدة من شركاء التعبئة لكوكا كولا. إذا كان الكبر مبعث ارتياح لك، فإن كوفكو هي جزء من خمس مئة من المحظوظين Fortune 500، ومثّلت تجارتها الإجمالية 4 في المئة من صادرات وواردات الصين من رقائق الذرة، والزيوت، والمواد الغذائية. لقد أعلنت الشركة عام 2007 أنها بصدد إدراج وحدات العمل المنفصلة التابعة لها في خمس سنوات.

شنغهاي داجيانغ (غروب) ستوك كو.، ليمتد

Shanghai Dajiang [Group] Stock Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A، فئة-B SHA: A-Shares, B-Shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الخسائر من 30.8 مليون دولار إلى 6.97 مليون، انخفاض الإيرادات 28.7 بالمئة

بالرغم من تراجع سعر أسهمها كما هو ملاحظ، فإن داجيانغ على ما يبدو مصممة لصبح واحدة من أكبر وسطاء الغذاء في الصين عبر توسعة جوهر عملها الذي هو إنتاج علف الماشية والدواجن، خاصة الخنازير والطيور. لقد اشتغلوا ببيع قطع الدجاج بدرجة كبيرة، وهم يسوقون كل شيء من كرات لحم الخنزير إلى الهمبرغر المجمدة وتعهَّدوا «بتطوير نكهة محلية خاصة ونكهة مثيرة في كل من أوروبة، وأمريكة، وجنوب شرق آسية، وأمريكة اللاتينية، تلبية لأذواق المستهلكين على اختلاف طوائفهم».

تشاينا أنيمال هازباندري إندستري كو.، ليمتد

China Animal Hasbandry Industry Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600195, A-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 46.7 بالمئة، انخفاض الإيرادات 78.7 في المئة

وهي مورد رئيس آخر للعلف، بحسب علامتها التجارية هوالو Hualo، وأمصال لقاح الحيوانات.

هاي تونغ فود غروب كو.، ليمتد Haitong Food Group Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600537, A-Shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 41.4 في المئة، ارتفاع الإيرادات 6.4 في المئة

obeikandl.com

تقوم هاي تونغ التي يقع مقرها الرئيس في دلتا نهر اليانغتز الخصبة بمعالجة مئتي صنف من المنتجات المهدرجة المثلجة والمعبأة بطريقة الكونسروة. لقد ظلت تشدد على «الطعام الأخضر»، وتدعي القيام بإجراءات الفحص لمبيدات القوارض والبعوض والذباب. إنها أيضاً تصدّر طرازاً يابانياً إلى جزيرة تايوان وكوريا الجنوبية، بالرغم من أنها تعتمد التحول إلى معايير يابانية وضعت أخيراً.

الانطلاقة الصينية الكبرى

عبر القرون لم تكن أرض الصين الجيدة معطاءً لأهلها، كما قال الروائي الأمريكي بيرل باك Pearl Buck عنها برومانسية: إن الحقيقة التي لا مفر منها أن الصين لديها 7 في المئة من مساحة العالم الصالحة للزراعة لإطعام 20 بالمئة من سكان العالم. لنعرض للأمر من وجه آخر، لدى الصين ثلاثة أرباع الأرض الصالحة للزراعة المتوافرة للولايات المتحدة، وعليها توفير الغذاء لأفواه تبلغ أربع مرات ونصف المرة مما هي عليه في الولايات المتحدة.

ولأنني سافرت على نحو لصيق بالأرض عبر تجوالي على دراجتي، فقد عبرت عملياً كل نوع من رقع الأرض المثبطة: قطع جرداء من الأرض، وممرات صخرية، وصحراء قاسية. لكن شكراً لبراعة البستنة التي لها جذور تعود لمئات السنين، كان الأمر عادة بضع بوصات قبل أن تفضي الأرض القاحلة إلى صفوف مرتبة متخمة بالخضرة (حقيقة، ابتدع

الصينيون فكرة نثر البذور في صفوف مرتبة). ولما كانوا قد تحرروا من مزارعهم الجماعية، استطاع الفلاحون الصينيون عبر زراعة الأرض عدة مواسم واستعمال الأسمدة أن يولدوا عائداً للهكتار الواحد يتجاوز المعدل العالمي في كل ناحية تقريباً، وأفضل كثيراً من الولايات المتحدة عندما يأتي الكلام عن حدائق الخضراوات.

بقي زعماء الصين ملتزمون أن يشاهدوا البلاد تكفي نفسها من الغذاء: لقد التزمت دراسة من قبل مجلس الدولة تعود إلى عام 1996، عنوانها: «مشكلة الحبوب في الصين» تحقيق هدف يؤمن 95 في المئة من الاكتفاء الذاتي. وعلى نحو لافت للنظر نجحوا في تحويل الأمل إلى واقع على الأرض في معظم المناطق. في عام 2002، على سبيل المثال عندما دخلت الصين سنتها الأولى في عضوية منظمة التجارة العالمية، وتطلّب الأمر خفض الرسوم، وتكهن العديد من الناس بأن مستوردات الحبوب الأساسية مثل الدقيق ستقفز للأعلى، صارت الصين على عكس ذلك، فغلب التصدير على الاستيراد للمرة الأولى. وبالرغم من المستهلكين المتعطشين فالمنحى لا يزال قائماً. ما بين عامي 2000 و2004، قفزت الصين من المرتبة التاسعة إلى المرتبة الرابعة في العالم: كمصدِّر للسلع الزراعية بتركيزها على المنتجات التي تملك بشأنها تفوقاً نوعياً.

عندما قمت بزيارة بلدة هامي Hami التي هي واحة في صحراء في أثناء جولات سفري، تعلمت كيف كان يحصل إمبراطور بيكين على ما تشتهيه نفسه من ثمرة الجح (البطيخ) التي تزرع في البلدة والمفضلة

لديه والمقطوفة طازجة، وذلك عبر بضعة أيام. ومن أجل تسريع ودوام الشحنات، فالصين بصدد تأسيس مركز تجاري دولي للفاكهة والخضراوات في تشينغدو Chengdu، عاصمة «سلة الخبز» في مقاطعة سيشوان. ولما كان مزارعو الصين ليسوا مجبرين بعد الآن على نقل بضائعهم بوساطة دراجاتهم الهوائية، تضاعفت قيمة صادراتهم في أقل من عقد من الزمان، ومنذ العضوية في منظمة التجارة العالمية عام 2001، حشدت هزة النقلة دَفْعاً أكثر، ليس فقط في تحقق عوائد أعلى، ولكن أيضاً في مضمار الشحن الحديث، ومنشآت العصير والأطعمة المجمدة، وتركيز حديث على المحاصيل التي تتطلب وفرة في العمالة التي تمكن الصين من الإنتاج بما تملكه من ميزة تنافسية.

فعلى سبيل المثال، لابد لبساتين الفاكهة أن تتولاها يد العناية بالتقليم والحماية على الدوام. ربحت بلدة تشاندونغ مقاطعة فيشينغ Feicheng بطاقة دخول إلى مجموعة غينيس Guiness للأرقام العالمية القياسية، التي تنتج ثمار الدراق (البرقوق)، التي كانت محبة للأباطرة لقرون خلت، لإنتاج أكبر بستان في العالم لهذه الفاكهة بغلّة بلغت ثلاثة ملايين ونصف المليون ليبرة من محصول واحد. وشهد عام 2005 رقماً أعلى للنمو للمربين: 189 مليون دولار من صادرات الفاكهة؛ بقفزة زادت عن 66 في المئة عن السنة السابقة. وإن كلفة إنتاج تلك الثمرة في الصين 40 بالمئة بالنسبة إلى مثيله في الولايات المتحدة و20 بالمئة مما هو عليه في اليابان.

لا عجب أن معظم تفاح فوجي Fuji يأتي من الأشجار الصينية! أو أن صادرات عصير التفاح تشهد انفجاراً: تضاعفت قيمة مبيعات العصير

الصينية ثماني عشرة مرة. وكل ذلك دون عون يذكر من الصينيين أنفسهم، حيث يقل استهلاك الفرد فيهم عن ليترين من العصير سنوياً، مقارنة بمعدل يبلغ أربعين ليتراً في الدول المتقدمة. وبينما نعرف جميعاً أن لا شيء يماثل «كل - الأمريكيين كشطيرة التفاح»، فإن 95 في المئة من المادة المركزة المستخدمة في أنواع عصير التفاح الأمريكية تأتي من الصين. وفي حين فرضت غرامة على صانعي العصير الصيني بسبب إغراق السوق بمنتجاتهم بسعر يقل عن نصف الأسعار العالمية السائدة، فإن ذلك لم يوقفهم عن شق طريقهم وسط اقتصاديات مناطق زراعة التفاح الأمريكية.

هناك الكثير الذي يمكن تذوقه في هذا الطراز من الانطلاقة الصينية، حتى لو كان يأخذ مكانه في حاويات السفن بدلاً من صناديق الورق المقوّى. روسيا أيضاً هي سوق لأصناف مثل جوز الهند، والعنب، والكُمَّثْرَى (الإجاص)، والمشمش المجفف. كذلك تشق أنواع الفطر الصيني والثوم طريقها إلى المجمعات الاستهلاكية في جميع أرجاء العالم. البرتقال الماندريني والأقرب إلى ثمرة اليوسفي لدينا ورمز الولادة من جديد، أغرق بقية قارة آسية أثناء احتفال رأس السنة القمرية. لكن صناديق الحمضيات الصينية من جميع الأنواع أصبحت مكاناً عاماً يقصده المستهلكون طوال الفصول الأربعة للسنة.

اليوم يراقب الصينيون عن كثب بأعينهم أسواق الاتحاد الأوربي المتعطشة للحمضيات وهم يقومون بخطوات واسعة في هذا الإطار مما استدعى المزارعين الإسبان كنظرائهم الأمريكيين، ليرفعوا عقيرتهم عالياً

لحماية أكثر. حتى توت الأرض (الفريز) الصيني يشق طريقه. وقد أذاعت الشركة البلجيكية الأهم ماتيرن-كونفيلكس Materne – Confilcux التزاماً مدوّياً منذ وقت يسيرٍ بإقرارها بأن اختيارها وقع على التوت الصيني الذي تنتجه شركة باودينغ بينغهوا Baoding Binghua للأغذية بسعر يبلغ نصف ثمن التوت البولندي. ليس بوسعهم منافسة أسعار الصين.

ملفات جيم الصينية: ندية أكثر من الفاكهة ذات العصارة

إس دي آي سي زونغلو فروت جوس كو.، ليمتد

SDIC Zhonglu Fruit Juice Co., Ltd.

«شركة زونغلو لعصير الفاكهة المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600962, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 60.9 في المئة، ارتفاع الإيرادات 54.9 في المئة

تنتج زونغلو التفاح والكمثرى والجزر والتمور نعم، عصير التمر. إنها تستحوذ على حصة قدرها عشرة بالمئة من السوق العالمية، وتؤمن المواد الأولية لشركات متعددة الأنشطة مثل نستله. في عام 2004 أصبحت زونغلو أول شركة صينية شبه مسهمة ضمن صناعة تصنيع العصير التي تدرج أسهمها في السوق.

شركة يانتاي نورث أندريه ليمتد

Yantai North Andre Juice Co., Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 8259, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 23.4 في المئة، ارتفاع الإيرادات 39.5 في المئة

obeikandl.com

هذا القادم الجديد في زمن قدره عشر سنوات، وضع استثمارات ضخمة في منشآت حديثة، وأيضاً البحث والتطوير لأمور مهمّة مثل: «تقنية إزالة الرسوبات الثانوية» لكي تصبح رائدة في منجم التفاح الثري الناشئ. وإلى الآن تذهب نسبة 95 في المئة من النشاط للتصدير. ربحت شركة شاندونغ لصناعة العصير المصفى المركز أعلى جائزة للعلامات الصينية التجارية، ومصانعها التي تصنع هلام المربى تتمتع بالأصالة والشرعية.

تشاينا هيويان جوس غروب ليمتد .China Huiyuan Juice Group Ltd

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 1886, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 851.1 في المئة، ارتفاع الإيرادات 78.3 في المئة

استطاعت هيويان جمع 307 ملايين دولار عبر إصدار أسهمها الأولي في آذار 2007. تحتل المرتبة الأولى في المبيعات المحلية وكذلك التصدير. ومن ضمن المستثمرين الإستراتيجيين غروبيه دانون Groupe Danone. وربيرغ بينكوس Warburg Pincus، ويوني بريزيدنت Uni-President.

أورينتال فود «هولدينغز» ليمتد .Oriental Food {Holdings} Ltd

«أطعمة الشرق القابضة المحدودة»

بورصة سنغافورة: أسهم فئة-S SIN: 5FT, S-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 83.1 في المئة، ارتفاع الإيرادات 0.01 في المئة

بالرغم من أداء هذه الشركة المتوسط، تستحق اللوزيات أن تذكر. إنها واحدة من أقدم المحاصيل في الصين، ولا تعقد مأدبة في الصين

دون وجودها على الطاولات. تصدر منشأة اللوزيات هذه إلى اليابان وكوريا وتصنع الزيت، وأصناف البودرة، ومنتجات أخرى من هذه الوجبة الخفيفة.

تغذية الطلب

عندما ذهبت أول مرة إلى الصين، بدت معظم المآدب التي أقيمت على شرفي وكأنها تعطي عذراً لمضيفيّ المحليين أن يزوردوا يلتهموا الأطباق المترفة النادرة (مثل قطعة من لحم البقر، وإذا حالفهم الحظ سمكة كاملة). اليوم يوجد لدى كل مطعم فاخر خزانات متخمة بالسمك، ويستمتع مصنعو اللحوم بقفزات من المبيعات قدرها 30 في المئة كل سنة. في آخر تعداد، أسهمت 312 شركة إلى ما يصل 71 في المئة من إجمالي إنتاج اللحوم في آسية.

تتبوأ الصين في الوقت الحاضر المرتبة الأولى في العالم في إنتاج لحم الخنزير، والثانية في إنتاج لحوم الدجاج، والثالثة في إنتاج لحم البقر. عندما يأتي الحديث عن الماشية عموماً، تضاعفت قطعان العجول والدواجن أربعة أضعاف ما بين عامي 1990 و1998، (بينما ارتفع إنتاج الحليب ست مرات، والبيض ثمانية أضعاف).

ومعظم هذه الزيادة توجهت نحو إشباع الاستهلاك المحلي، ولاسيّما أن أهل المدن يحبون أن يضعوا على موائدهم أصنافاً ذات جودة عالية، وتستمر صناعة الطعام في التوسع بوتيرة عالية.

وهذا يعني أن كل شيء في الدورة الزراعية، مثل حقول الغذاء - حتى مصنعي الجرارات والتجهيزات الزراعية- تجني الفائدة من الطلب المتزايد. لا يطلق عليها «سلسلة الغذاء» دون مبرر. فمثلاً، ارتفع العلف اللازم لتربية الحيوانات في الصين من 0.6 مليون طن عام 1978، إلى 63 مليون بعد عشرين سنة. ولذلك زاد مصنعو الأعلاف المحليون الإنتاج بنسبة قدرها 15 في المئة كل سنة أثناء التسعينيات (من القرن العشرين). في آخر خمس سنوات خلت قفز عدد المطاحن التي تنتج الأعلاف عشر مرات.

بالمقابل، أدى ذلك إلى حاجة أضخم كثيراً للذرة وحبوب الصويا، ومنتجات أخرى تدخل في الأعلاف عالية البروتين. هذه الحيوانات شهية أكثر من البشر، حيث دفعت إلى الأعلى مشتريات الصين من الحبوب والبروتينات الأخرى. ويا للعجب، شكراً للقطعان بحسب الأسلوب الأمريكي، إن الأرض التي ابتدعت مرق (صلصة) الصويا قد أضحت المشتري الأكبر لحبوب الصويا على وجه الأرض. ابتاع الصينيون مقداراً بلغت قيمته 3 بلايين دولار من المزارعين الأمريكيين أو أربعين في المئة من المبيعات العالمية لعام 2005. حالياً، يتم إبرام عقود حبوب الصويا في بورصة داليان للسلع Dalian Commodity Exchange وهي واحدة من ثلاث بورصات يجري فيها تداول الصفقات المستقبلية في الصين، بالإضافة إلى شنغهاي وزينغزهوا Zhengzhou بحجم يفوق ما يتم في بورصة شيكاغو. لذلك يمكن النظر إلى صادرات الصويا الأمريكية بوصفها وسيلة غير مباشرة للاستثمار في الصين أيضاً.

فيما يتعلق بالبائعين أو المشترين، ستصبح الصين قوة رئيسة في أسواق السلع والزراعة منذ الآن فصاعداً. لكن أربعة أخماس اللحوم في كل الصين لا يزال يأتي من طرف صغار المنتجين، مما يعني أن الشركات يمكن أن يكون لها دور مساعد في المراقبة، ووضع العلامات التجارية، والتجميع، ولا بد أن تكون إضافة الشروط الصحية لخط إمداد اللحوم في الصين موضع طلب في السوق. وكلما ازدادت أحجام الأراضي المزروعة، ستتناقص أعداد الجرارات القديمة العهد التي تعمل بسيلندر واحد، والتي تشبه مثيلاتها، وسبق استعمالها لإعاقة تجوالي على العديد من الطرق الريفية التي صادفتني، وكانت تبدو وكأنها ولد غير شرعي للعربات ذات العجلتين وآلات قص العشب. لقد تم استبدال الجرارات القديمة بأخرى أكبر وأكثر تقدماً، لا سيما أن المنشآت الأمريكية حتى الهندية تراقب عن كثب الطلب الصيني المتنامي والمدعوم بمساعدات الحكومة للمزارعين بما يصل إلى ثلث التكاليف. لكن أنواع التجهيزات الصينية المتينة يتم تصديرها على نحو متزايد عبر العالم، وتكتسب موطئ قدم بسبب أسعارها التنافسية. وحالياً هناك رابطة لمالكي الجرارات الصينية تتخذ لها مركزاً في الولايات المتحدة الأمريكية الخيّرة.

ملفات جيم الصينية: بذار النقود

هينان شوانغهيوي إنفستمنت آند ديفيلوبمنت كو

Henan Shuanghui Investment and Development Co.,

بورصة شينزن: أسهم فئة ـ A **SHE: 000895, A – shares**

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 49.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 50.5 في المئة

يبدو أن المستثمرين الأجانب يسيل لعابهم من أجل صناعة إنتاج اللحوم في الصين. بالمراهنة على التعاظم المستمر في استهلاك اللحوم أسس منذ وقت قريب كل من غولدمان ساش Goldman Sachs وسي دي إتش انفستمنت CDH Investment شركة تضامنية برأسمال يقرب من 250 مليون دولار، حيث يتم في هذه الشركة تصنيع اللحوم التي يقال عنها: إنها أكبر واحدة في الصين.

تشاينا يوران فود غروب ليمتد .China Yurun Food Group Ltd

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 1068, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 188.7 في المئة، ارتفاع الإيرادات 82.7 في المئة

وهي منشأة أخرى لتصنيع اللحوم تجتذب المستثمرين الأجانب، وهي تركز على ذبح الخنازير ومبيعات لحمها المجمد. بالإضافة إلى كونها واحدة من المنشآت الصينية التي تعرف كيفية صنع شرائح لحم الخنزير المنكهة بسكر القيقب maple-cured Bacon والسجق الغني بالتوابل (ببيروني pepperoni).

غانسو دان هوانغ سيد كو. ليمتد .Gansu Dunhuang Seed Co., Ltd

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600354, A-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 57 في المئة، ارتفاع الإيرادات 19.8 في المئة

على نحو يثير الدهش، تكرس الصين مساحة من الأرض لزراعة الذرة أكثر من أي بلد آخر سوى الولايات المتحدة، وإن نصف تلك المساحة موجود في مقاطعة غانسو البعيدة. للتو دخلت دوبونت Du Pont في شراكة

مع غانسو دان هوانغ لإنتاج بذور الذرة المهجنة أكثر من ذي قبل. تمد الشركة أيضاً يد المساعدة في الصين لقطاف القطن وأنواع ثمر البطيخ.

تشانغ دونغ دينغ هاي سيدز كو.، ليمتد

Shandong Denghai Seeds Co., Ltd.

«شركة تشانغ دونغ دينغ هاي للبذار المحدودة»

بورصة شينزن أسهم فئة ـ A SHE: 002041, A – shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 92.9 في المئة، انخفاض الإيرادات 4.7 في المئة

ابتاعت مجموعة بايونير الأمريكية ما يقرب من نصف الحصص السهمية في تشانغ دونغ دينغ هاي التي أسست عام 2000، وتختص بالذرة والخضراوات على حد سواء، مع قدرة إنتاجية هائلة (فمثلاً، خمسة وعشرون مليون ليبرة من بذار الذرة سنوياً). كانت بداية نشأتها من صناعة تهتم بالبحث عام 1985، وباستثمار قدره 2.400 دولار، واليوم تصرّح بموجودات تبلغ قيمتها 116.1 مليون دولار. ويشتهر مؤسسها لي دينغ هاي Li Denghai بلقب «ملك الذرة» لكونه حطم الرقم القياسي العالمي لعائد الذرة وزاد عنه أكثر من ستة عشر طناً للهكتار الواحد.

جيانغ سو يودا يان شينغ تراكتور ماينوفاكتشر كو. ليمتد

Jiangsu Yueda Yancheng Tractor Manufacture Co., Ltd.

«شركة جيانغ سو يودا يان شينغ لتصنيع الجرارات الزراعية المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة ـ A SHA: 600805, A – shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 19.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 44.4 في المئة

كلما كانت عربات التسوق في المجمعات الاستهلاكية (السوبر ماركت) كبيرة كانت الجرارات الزراعية كبيرة أيضاً. والجرارات الزراعية الصينية في طريقها لتصبح صناعة ضخمة. جيانغ سو يودا هي من يقوم بتصنيع جرارات جينما Jinma الزراعية الواسعة الانتشار والعديد غيرها، بما في ذلك العلامة التجارية هوانغ هاي Huanghai «الجرار السائر». تملك الشركة التي تأسست عام 1959، قدرة إنتاجية تمكنها من تصنيع 110.000 آلة سنوياً، تبيعهم في الولايات المتحدة، وفرنسا، والشرق الأوسط. بالإضافة إلى ذلك تقوم هذه الشركة القابضة بإدارة عدد يسير من الطرقات السريعة.

فيرست تراكتور كو.، ليمتد First Tractor Co., Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 0038, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 632.4 في المئة، ارتفاع الإيرادات 43.7 في المئة

فيرست تراكتور هي لاعب أساسي آخر في التجهيزات الزراعية. لكن هوبي ماشينري آند إيكويمبمنت إيمبورت وإكسبورت كورب Hubei Machinery and Equipment Import & Export Corp. «شركة هيبوبي لتصدير واستيراد الآليات والتجهيزات» هي واحدة من بين أكبر مئتي شركة في الصين من حيث المبيعات التي لا تزال غير مدرجة حتى الآن.

من الزعيم إلى العقيد (الكولونيل)

يشتهر الصينيون بأنهم يأكلون كل شيء. أعلم جيداً من لقاءاتي القريبة مع متعهدي الأفاعي المشهورين الذين يشقون الحويصلة الصفراوية

ويفرغون محتواها بعصرهم للمادة الصفراوية التي تحتويها ثم يفرغونها في شراب النبيذ المخلوط (الكوكتيل). لكن في هذه الأيام، ذهب آكلو الطعام المغامرون في الصين إلى أبعد من تناولهم لظلف الجمل إلى قوت مثير حقاً. ماذا يمكن أن يكون أغرب في بيكين القديمة من شرائح الجبن المسماة فيلي (Philly) أو بيتزا هاواي، التي تعلوها قطع فاكهة الأناناس؟ إن تدفق التسويق الغربي والطعام الغربي قد صنع تحولاً في النظام الغذائي القديم، الذي يعتمد على الخضراوات والأرز. وهذا يعني مكاسب جمّة لقطاعات جديدة متنامية في الزراعة.

في عام 1966، عندما حض ماو الحرس الأحمر لكي «يخدم الشعب» فلعلهم فكّروا في امتهان تقديم الطعام والشراب: مثّلت مادة النشاء 67 بالمئة من تناول الحريرات في الصين، في حين حصل اللحم على حصة أربعة بالمئة، والسكريات 1.3 بالمئة، والخضراوات التي تعد نادرة (ما يقرب من ثلاثين رطلاً في السنة للفرد). اليوم انحدرت نسبة الأرز من 37 بالمئة إلى 27 بالمئة، واللحم والسمك زادت وفرتها أربع مرات. ومع تماثيل الكولونيل ساندرز التي يفوق عددها تماثيل الزعيم ماو، وأغلبية محال ماكدونالدز الحديثة افتتحت في الصين، فقد حصلت زيادة قدرها 40 في المئة في إنتاج البطاطا الصينية لإشباع الطلب المتزايد على قطع البطاطا المقلية. وكما يحقق كل من ستارباكس Starbucks وبيتزا هات Pizza Hut نجاحاً منقطع النظير، أيضاً، فهذا يعني شريحة أكبر لسوق الجبن والحليب في رقعة من الأرض، حيث يعتقد أن أغلب الناس فيها يفتقدون إلى الأنزيمات الأساسية اللازمة لهضم سكر اللاكتوز.

بحلول عام 2006، امتصت الصين 13 في المئة من كميات الحليب المعروضة عالمياً. وإذا ما أخذنا عدد سكان الصين، فإن أي زيادة نسبة متواضعة تترجم إلى نماء ملحوظ في الطلب على منتجات الحليب، وإن عوامل الطلب كانت وما زالت في ازدياد بنحو 9.5 بالمئة في كل سنة في أثناء العقد السابق من الزمان. وإذا ما افترضنا الخبرة الموجودة في البلدان الآسيوية الأخرى، فهناك مسافة كبيرة للنمو. بحسب إحصاءات وزارة الزراعة الأمريكية، تستهلك كوريا الجنوبية من الحليب بمقدار سبع مرات للفرد الواحد، أما تايوان فالنسبة 11 إلى 1، وتصل النسبة في اليابان إلى ستة عشر ضعفاً.

لا عجب إذاً أنه بحلول عام 2002 كانت تعمل 1600 منشأة في الصين في صناعة منتجات الحليب. حتى إن بعض هذه المنشآت بدأ في إنتاج مقادير صغيرة من جبن الغنم والجاموس لكي يستفيدوا من الموارد الفائضة. أما مبيعات الألبان فهي في طور الارتفاع بمستوى مماثل خاصة مع الثقافات «المؤيدة لأساليب الحياة الصحية» الحديثة ذات الموجة الطاغية. في مقاطعة لياونينغ، تضاعفت قطعان الماشية المنتجة للحليب ثلاث مرات منذ عام 2000.

في كل بلد زرتها، لاحظت رغبة في استهلاك كمية أكبر من الطعام تأتي لاحقة لنمو اقتصادي مفرط. ومع اعتياد الشريحة الفتية من السكان على المشروبات الغازية بدلاً من الشاي، وبوجود عدد أكبر من الأفراد القادرين على توفير ثمن المثلجات «البوظة» والمعجنات، فهذا

يعني قفزة كبيرة في الطلب على سلع عالمية غير تلك الرئيسة. في الواقع، قفزت الصين في الوقت الحاضر مسافة بعيدة لكي تحتل المرتبة الخامسة بين البلدان المستهلكة لأصناف الحلوى.

وهذا يفترض نقصاً سنوياً يقترب من مليوني طن من السكر في السنوات القريبة التي خلت -بالرغم من ازدياد إنتاج الصين من مادة السكر أربعاً وثلاثين مرة أثناء ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، ويأتي تصنيفها اليوم في المرتبة الرابعة عالمياً على مستوى الإنتاج. بيد أن الصناعة تظل عرضة للتقلبات.

فالمنافسة من جهة الواردات منذ اتفاقية منظمة التجارة العالمية سنة 2001 أرجعت الأسعار إلى الوراء بمقدار 30 بالمئة. هذا يعني أنه في عام 2006 سيكون هناك مئة وخمسون من مزارعي السكر الصغار عرضة للإفلاس. بالإضافة إلى عوامل أخرى كان لها تأثيرها مثل الطقس الرديء، وبالتأكيد، فإن الصينيين يتحولون إلى مواد التحلية الصناعية المحتوية نسبة أقل من الدسم.

ملفات جيم الصينية: وجبات الطعام الجاهزة

نانينغ شوغر مانو فاكشترينغ كو.، ليمتد

Nanning Sugar Manufacturing Co., Ltd.

«شركة نانينغ لتصنيع السكر المحدودة»

بورصة شينزن: أسهم فئة-A SHE: 000911, A –shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 32.1 في المئة، ارتفاع الإيرادات 56.7 في المئة

obeikandl.com

تتولى تصنيع وتصدير ما نسبته 4 في المئة من حصة الصين إلى أوروبة، والشرق الأوسط، وبقية قارة آسية، وفي ذات الوقت تزود الزبائن الدائمين مثل بيبسي وكوكا كولا.

تشاينا صن بيو تشيم تيك غروب كو.، ليمتد
China Sun Bio-Chem Tech Group Co., Ltd.
بورصة سنغافورة: أسهم فئة-S، من فوق المنصة
SIN: C86, S-shares; OTC: CBTKF
منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 63.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 109.7 في المئة

تهتم بزراعة بدائل السكر الرائجة شعبياً، تخطط الشركة لإنتاج المحليات المصنوعة من الذرة. لدى الشركة حالياً قدرة إنتاجية تؤهلها لإنتاج نشاء الذرة، والمكثفات الأساسية في المطبخ الصيني، بالإضافة إلى منتجات مثل سائل الزلال، حتى أيضاً الإيثانول الذي تحتاجه السيارات بوجود مصنع يقع في شين يانغ Shenyang وهي المدينة الرئيسة في شمال شرق الصين وبطاقة إنتاجية تصل إلى مئة ألف طن.

تشاينا مينغ ني دايري كو.، ليمتد China Mengniu Dairy Co., Ltd.
بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H، من فوق المنصة
HKG: 2319, H-shares; OTC: CIADF
منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 120.1 في المئة، ارتفاع الإيرادات 125.2 في المئة

تعد الشركة من الأوائل في بيع الحليب في الصين وهونغ كونغ. تنتج الشركة بودرة الحليب، والحليب السائل، ولبن الزبادي، والمثلجات،

والحلويات التي تعتمد صناعتها على الحليب. إن الترجمة الحرفية لاسم الشركة وعلامتها التجارية هي «البقرة المغولية»، لكنها أيضاً جناس «للبقرة القوية». كان مخطط التسويق الأذكى للشركة يرعى ما صار إليه مكافئ صيني لطَيْفٍ أمريكي محبوب - سمّي لبعث الشهية لمسابقة مينغ ني فتاة اللبن المتفوقة. لقد جذبت آخر حلقة من البرنامج أربع مئة مليون مشاهد عام 2005، وهو واحد من أكثر البرامج التلفازية التي يقبل عليها المشاهدون عبر التاريخ في الصين. حتى إن الشركة وجهت بحثها عن مدير تنفيذي جديد عبر حملة دعائية مثيرة -بوضعها إعلانات في مجلة بيزنيس ويك Business Week- لكن انتهى بها المطاف لتعيين الرأس المدبر للفتاة المتفوقة في منصب المدير التنفيذي.

أميركان دايري، إنك .American Diary, Inc

«شركة منتجات الحليب الأمريكية» أو «شركة الألبان الأمريكية»

بورصة نيويورك NYSE: ADY, ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 218 في المئة، ارتفاع الإيرادات 228.1 في المئة

ليس في هذه الشركة شيء أمريكي سوى اسمها، لكنها شركة قابضة تملك حصة في شركة فيهي دايري Feihe Dairy في مقاطعة هيلونغ جيانغ Heilong jiany بالإضافة إلى ثلاث شركات فرعية مملوكة لها كلها. تنتج الشركة طيفاً واسعاً من منتجات الحليب والبودرة، حتى بودرة الجوز المجففة. أشار تقرير الربع الثالث لعام 2006 إلى زيادة في الإيرادات بنسبة 129 في المئة و157 في الأرباح الإجمالية عن السنتين الماضيتين.

آنجل ييست كو.، ليمتد Angel Yeast Co., Ltd.

«شركة خميرة الملائكة المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600298, A-Shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 42.5 في المئة، ارتفاع الإيرادات 58.6 في المئة

بسبب الزيادة في المعجنات ذات الطابع الغربي والمنتجات العديدة المرافقة، قد تأخذ هذه الشركة الأحدث من بين الخمسة الأوائل من صانعي الخميرة على المستوى العالمي موقعاً مرموقاً. تستخدم منتجاتها الفرعية في تخمير الجعة، وعلف الحيوانات، والفيتامينات، وفي عمل التوابل. إن الشركة تسهم في زيادة استهلاك كعك الحلوى، والأرباح في أكثر من ستين بلداً بما في ذلك إفريقية.

هينان ليان هوا غورميه باودر كو.، ليمتد

Henan Lianhua Gourmet Powder Co., Ltd.

«شركة هينان ليان هوا لبودرة الذواقة المحدودة»

بورصة شنغهاي: تصنيف-A SHA: 600186, A-listed

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 363.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 94.9 في المئة

ولكن كيف يكون الطعام صينياً بحق من دون ملح التوابل (غلوتامات الصوديوم الأحادي)؟ هذه الشركة واحدة من المصنعين الرئيسين لنكهة أعشاب البحر، التي يفضلها الطهاة في المنازل والمطاعم (ولا تزال تسوق على نحو كبير من قبل مبتكرها الياباني آجينوموتو Ajinomoto). ثم إن الشركة تنتج موادَّ أخرى أساسية كنشاء الذرة، وهي تخوض الآن في مجال «الطاقة الحرارية والكهربائية».

عملاق أخضر مرح؟

عندما استطلعت أول مرة أساليب الزراعة الصينية، كانت عضوية كأي شيء يمكن أن أحصل عليه، لم ألاحظ في البداية، لكن تلك الأكواخ التي زرعت في أرجاء معظم الحقول، لم تكن تجمعات لزمر من الهنود الحمر الشرقيين، أو مجرد أضرحة. لقد كانت بيوتاً للخلاء، وضعت في أماكنها على نحو مريح لتسهيل توزيع فضلات البشر التي تجمع في «دلاء العسل» المعلّقة في نهايات الصواري الخشبية، ومن ثَمّ يتم توزيعها بوصفها سماداً رخيصاً.

منذ ذاك الوقت، أتخم الصينيون حقولهم بالمواد الكيمياوية أكثر من أي مكان على وجه الأرض. (بالمعدل، كان المزارعون الصينيون يضعون ضعف الأسمدة التي تستخدم في الولايات المتحدة، وبعضها سامٌ جداً لكي يمنع في الولايات المتحدة). وبسبب المجاعات التي حدثت في الماضي، فإن الأمر الذي يبدو قريباً للعقل هو أن يركز الفلاحون على عائد أكبر بأي ثمن. من غير أي مناقشة، لا يوجد بلد أسرع من الصين في تبني منافع «التقدم»، بما في ذلك البذور المعدلة جينياً.

لكن كل ذلك سيتغير الآن وبوتيرة سريعة كلفظ كلمة: «بذور تفاح جوني Johnny Apple - Seed». يدفع التدقيق والتمحيص العالميين، بالإضافة إلى حاجة الصين لتسويق منتجاتها بوصفها آمنة وموثوقاً بها، الزراعةَ الصينية لكي تصوِّب تصرفاتها. فمثلاً، ستؤثر معايير عام 2006 المتشددة التي تحكم البقايا الكيمياوية في اليابان -التي افتضحت

أمر السبانخ الصينية المجمَّدة التي فشلت في اجتياز الاختبار الدقيق- في نحو ستة آلاف منشأة صينية. حالياً تملك الصين ما نسبته 11 بالمئة من الأرض العضوية الصالحة للزراعة في العالم؛ وعلى الأغلب، فإن أي حبة من اليقطين العضوي، أو بذور نبات عباد الشمس، والفاصولياء العريضة والسوداء، ستأتي من الصين. حقيقة، لقد افتتحت البلد مركز تطوير الغذاء العضوي الخاص بها منذ زمن يعود إلى عام 1994. وابتداءً تقريباً من درجة الصفر، حققت الصين بحلول عام 2003 رقم مبيعات زاد على أربعة بلايين دولار من الإنتاج العضوي، أسهمت فيه ثماني مئة شركة عضوية معتمدة.

وبخلاف ما حصل في الغرب، حيث بدأت الزراعة العضوية بواسطة بعض المتمردين المستقلين الصغار، فإن الصناعات الكيمياوية الحرة في الصين -بحكم الأجور الرخيصة والأسعار المرتفعة التي ساعدت على تكوين هوامش ربح مجملة وصلت إلى نسبة 70 بالمئة- تقوم بما يشبه نحت تحفة فنية بصقل قطع كبيرة من أرض البلد في الشمال الشرقي، التي لا تزال تحتفظ بنقائها. وبينما كانت في زمن ما ينظر إليها كمصدر تلويث للعالم، فإن الميزة التنافسية التي تتمتع بها الصين تحوُّلُها في الوقت الراهن إلى العملاق الأخضر القادم في العالم.

لكن الزراعة لا تزال تتحرك ببطء مقارنة بسائر المجتمع الذي وصل إلى درجة فسح فيها مجالُ الاكتفاء الذاتي الطريقَ أمام الاهتمامات لجودة وحياة أفضل. لو قام المرء هذه الأيام بانتقاء أي صحيفة من

الصحف التي تدار من قبل الدولة في الصين، لوجد عناوينها الرئيسة تتناول بالخبر والتحليل المبادرات ذات الصلة بتعهد بيكين بإقامة ألعاب أولمبية خضراء*. لا بل ذهبت الصين لأبعد من ذلك عندما اختارت قطارات المسافرين الخضراء الخاصة بها، التي تعرض محاضرات عن البيئة، في حين تشق هذه القطارات طريقها عبر جبال كونمينغ Kunming والأراضي العشبية لمنغوليا. وستنال الحياة البرمائية يوماً ما حظها من التطوير.

إن لمقاطعات الصين ارتباطات تتعلق بدعم بدائل النظام الغذائي الصحي، حتى قبل أن تترجم كلمة «عضوي» إلى اللغة الصينية - بتأسيسها مساحات لتطوير باكورة الغذاء الأخضر، وخدمة صناعة ينضوي تحت لوائها 2.836 منشأة. صدّق أو لا تصدّق، إن آخر دفعة من رواد الفضاء الصينيين قد أثاروا نقطة جديرة بالاهتمام؛ بأن أخبروا العالم أنهم يتقصَّون ويستطلعون في الفضاء نظام تغذية من الطعام الأخضر الخالي من الكيمياويات يتم إنتاجها بموجب شروط خاصة في «مدينة الفضاء» في الصين. لقد تناول رواد الفضاء كمّاً جمّاً من الأرز، مع كرات لحم السمك والفاكهة مثل -نعم- فاكهة الإمبراطور المفضلة بطيخ هامي Hami Melon! أخبر بهذا رجال الفضاء الأمريكيون، الذين روّجوا ذات مرة وهم في الفضاء لمشروب تانغ Tang الشهير ذي المذاق الحلو والمصنّع على هيئة البودرة.

---

* كُتبت هذه السطور من قبل المؤلف والصين على أعتاب إقامة الألعاب الأولمبية صيف عام 2008 (المترجم).

وآخر المطاف أن الصينيين كانوا أول من تبنى الفكرة القائلة: «شخصية المرء بحسب ما يأكل»، بنظرتهم لآثار التوازن الغذائي للأطعمة على الجسم البشري على أنها مرتبطة بالأدوية. لذلك فإنه لا غرابة في أن الطبقة الوسطى المتنامية في الصين بدأت تنضم إلى الطلب العالمي على الطعام الأكثر صحة ونظافة. اليوم تبدو الأصناف العضوية في الأسواق المنتشرة في مدن الصين جلية للعيان، حتى إن شنغهاي لديها سوقها الخاص الذي لا يحتوي إلا أصنافاً عضوية، التي جعلت من الحرف اللاتيني «O» كناية لها، حيث تبتدئ كلمة «Organic» بهذا الحرف، ومعناه بالعربية عضوي. لن يجد المرء فقط كمّاً وفيراً من أنواع الشاي الصينية (منشأة واي يان Wuyuan للأغذية العضوية في مقاطعة جيانغزي Jiangxi غير المدرجة حتى الآن، التي باعت ما مقداره ثلاثة ملايين دولار في السنة الماضية) ولكنَّ هلاماً عضوياً اسمه يأتي من الشجرة اللثية -وربما يأتي يوم- نرى وجه خنزير عضوي.

إن طلباً داخلياً كهذا سيكون في اتجاه الزيادة ليدفع بالاهتمامات اليابانية مثل آساهي Asahi للتخمير ليستثمروا في المنتجات العضوية التي تستهدف السوق الداخلي للصين. ومن السخرية بما فيه الكفاية، أن معظم الأراضي التي خصصت لإنتاج الغذاء للغربيين الذين يتوخَّون الطعام الصحي موجودة في هيلونغ جيانغ Heilong jiang وجيلين Jilin وهي مناطق كان يرسل إليها من يطلق عليهم المتعلمون الشباب لكي يتضوَّروا جوعاً «للتعلم من الفلاحين» في معسكرات العمل القسرية. لكنها مزية الصين التنافسية، التي تمكِّنها من زراعة

محاصيل عضوية خاصة وبحجم صغير مستفيدة من كثافة القوة العاملة، هذه المحاصيل زهيدة التكاليف، وأرخص جداً من أي مكان في العالم، مما سيسهم في دفع عجلة هذه الصناعة المتنامية.

ملفات جيم الصينية: مراعي الكلأ الأكثر اخضراراً

تشاودا موديرن آغريكالتشر «هولدينغز» ليمتد

Chaoda Modern Agriculture {Holdings} Ltd.

«شركة تشاودا للزراعة الحديثة القابضة المحدودة»

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 0682, H – shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 34.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 50.3 في المئة

واظبت هذه الشركة الرائدة بالرغم من مواسم القحط والجفاف والفيضانات، وانتشار وباء السارز SARS الذي تفشى عام 2003، على إنتاج 150 فصيلة من الخضراوات والفاكهة العضوية: الفطور الصالحة للأكل، وأنواع الشاي العضوية، والفاكهة الاستوائية، وعلى الماشية على حد سواء. والشيء الملفت للنظر أكثر، أن ثلاثين في المئة من مبيعاتها ذهبت لما وراء البحار.

باين أغريتك ليمتد Pine Agritech Ltd.

بورصة سنغافورة: أسهم فئة-S SIN: P39, S-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 293 في المئة، ارتفاع الإيرادات 198.8 في المئة

تصنع باين أغرتيك حبوب الصويا الأمريكية المستوردة لتحولها إلى منتجات ركيزتها حبوب الصويا القليلة الدسم، وتشمل كل

oberkampf.com

شيء من بروتين الصويا المعزول وزيت الطهي إلى السوائل اللزجة الصحية.

بوديسن بيوتيك، إنك .Bodisen Biotech, Inc
بورصة الأسواق الأمريكية «سوق لندن للاستثمارات البديلة»؛ من فوق المنصة
AMEX: BBC; AIM {London Alternative Investment Market}: BODI,OTC: BBCZ
منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 180.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 168.6 في المئة

هل تعتقد أن المزارعين الصينيين سيراهنون على الأسمدة العضوية؟ إذاً جرّب حظّك مع بوديسن بيوتيك. هذه الشركة التي تتخذ من ميرلاند مركزاً لها لديها خطوط إنتاج في يانغ لينغ Yangling، تحاول جاهدة أن تستعيد مكانتها إثر فضيحة لحقت بها عام 2006، بشأن الإفصاح الكامل عن قيمة أصولها. لكن فوربس صنفت منذ زمن مضى الشركة المبتكرة في المرتبة السادسة عشرة من بين الشركات الصينية الأسرع نمواً، والشكر موصول لمبيداتها الحشرية البيولوجية العضوية الموثقة وأسمدتها البيولوجية، هل باستطاعة بوديسن أن ترفع الضرر عن نفسها كما فعل المزارعون الصينيون؟

في حال كونك تريد أن تغطي جميع الموضوعات، فإن الشركات الكيمياوية لابد أن تستمر بالإفادة من التوسع الزراعي. سينوبيك Sinopec التي ذكرت سابقاً هي المنتج الصيني رقم واحد للأسمدة الآزوتية واليوريا. تشانيا بلو China Blue هي وحدة الأسمدة العائدة لـ CNOOC عرضت إصداراً أولياً للأسهم في شهر أيلول 2006.

بدلاً من الثورة الثقافية، تشهد الصين ثورة عضوية. أظن أن ما يدور حولنا ستؤتى ثماره يوماً ما، حتى لو كان سماداً بشرياً.

obeikandl.com